﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: 109]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

انتقلَ السِّياقُ من الحديثِ عن الظَّاهرِ القوليّ والفعليّ، إلى الباطنِ الحقيقيّ والعِلّيّ، فهو بيانٌ شارحٌ للتَّحذيرِ الواردِ في الآيةِ السَّابقةِ، وكشفٌ لحقائقِ النّفوسِ الخفيّةِ الدّسِّيَّةِ، وتوضيحٌ لحقيقةِ أسئلتِهم واقتراحاتِهم حولَ الرِّسالةِ، وتوضيحٌ لحقيقةِ أسئلتِهم واقتراحاتِهم حولَ الرِّسالةِ، وأنَّها قائمةٌ على وِدادِ ردَّة المؤمنينَ بعدَ إيمانِهم؛ بسببِ حسدِهم المتمكّنِ في نفوسِهم، لا أنَّها قناعاتٌ حقيقيّةٌ، بدليلِ: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾؛ فالآيةُ توضيحٌ وتبيينٌ وتعليلٌ لما سبقَ ذكرُه؛ لتمكينِ المؤمنينَ من الوقوفِ على حقائقِ الأشياءِ، وبواطنِ الأفعالِ؛ فيزدادُوا حذرًا ومُكنةً في مواجهةِ الباطلِ.

قال ابنُ عاشور في بيان وجه المناسبة: "مُناسَبَتُهُ لِما قَبْلَهُ أنَّ ما تَقَدَّمَ إخْبارٌ عَنْ حَسَدِ أهْلِ الكِتابِ وخاصَّةً اليَهُودَ مِنهم، وآخِرَتُها شُبْهَةُ النَّسْخِ، فَجِيءَ في هَذِهِ الآيَةِ بِتَصْرِيحٍ بِمَفْهُومِ قَوْلِهِ ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآيَةَ؛ لِأنَّهم إذا لَمْ يَوَدُّوا مَجِيءَ هَذا الدِّينِ الَّذِي اتَّبَعَهُ المُسْلِمُونَ فَهُم يَوَدُّونَ بَقاءَ مَن أسْلَمَ عَلى كُفْرِهِ ويَوَدُّونَ أنْ يَرْجِعَ بَعْدَ إسْلامِهِ إلى الكُفْرِ، وقَدِ اسْتَطْرَدَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الآيَةِ السّابِقَةِ بِقَوْلِهِ "ما نَنْسَخْ" الآياتِ لِلْوُجُوهِ المُتَقَدِّمَةِ؛ فَلِأجْلِ ذَلِكَ فُصِلَتْ هاتِهِ الجُمْلَةُ لِكَوْنِها مِنَ الجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَها بِمَنزِلَةِ البَيانِ إذْ هي بَيانٌ لِمَنطُوقِها ولِمَفْهُومِها"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿وَدَّ﴾: فعلٌ ماضٍ مضعّفٌ ثلاثيّ، جذرُه (ودد)، والأصلُ فيها أنّها "كلمةٌ تدلّ على

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/669.

محبةٍ، وددتُه: أحببتُه، ووددتُ أنْ ذاكَ كانَ، إذا تمنّيتَه، أودّ فيهما جميعًا، وفي المحبّةِ الودّ، وفي التمنِي الودادةُ"[1].

ويفهمُ من ذلكَ أنّ له معنيين؛ الحبَّ والتّمنِّي "، ويستعملُ في كلّ واحدٍ من المعنيين، على أنَّ التّمنّي يتضمّنُ معنى الودّ، لأنّ التّمنّي هو تشهّي حصولِ ما تَوَدُّهُ"[2].

"الوُدُّ والوِدَادُ: الحُبُّ والصَّدَاقة، ثمَّ استُعِير للتَّمَنِّي، وقالَ ابنُ سِيدَه: الوُدُّ: الحُبُّ يكون في جَمِيعِ مَدَاخِل الخَيْرِ"[3]، والمراد في الآية: "تَمَنَّى وَأَرَادَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ"[4].

2) ﴿كَثِيرٌ﴾: اسمٌ على وزنِ (فَعِيل)، والجذرُ اللغويّ فيه (كثر)، والفعلُ منه كثرَ يكثرُ، وأصلُ معنَى الكثرةِ في لغةِ العربِ خلافُ القلّةِ[5]، ومنه التّكاثر، وهو "المغالبةُ في الكثرةِ من الأشياءِ الدّنيويةِ كما تتغالبُ الجاهليةُ بكثرةِ أموالِها وأثاثِها"[6]، والمعنى في الآيةِ واضحٌ بيّنٌ في وصفِهم بالكثرةِ؛ فإنّ أكثرَ أهلِ الكتابِ لا يودّونَ الخيرَ للمسلمينَ.

3) ﴿أَهْلِ﴾: اسمٌ ثلاثيّ مجردٌ، جذرُه اللغويّ (أهل)، وهو اسمُ جمعٍ لا واحدَ لهُ من لفظِه بلْ من معناهُ، كرجلٍ وامرأةٍ، والهَمْزَةُ وَالهَاءُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ مُتَبَاعِدَانِ، أَحَدُهُمَا الأَهْلُ، والآخر: الإهالة، وهي: الأَلْيَةُ وَنَحْوُهَا، ومن الأول: "أهلُ الرجلِ أخصُّ الناسِ به، وأهلُ البيتِ: سكانُه، وأهلُ الإسلامِ: من يدينُ بهِ"[7] وأهلُ الرجلِ "مَن يجمعُه وإياهُم نسبٌ أو دينٌ، أو ما يجري مجراهُما من صناعةٍ وبيتٍ وبلدٍ"[8]، ويتحدّد معنى أهل أنّها بحسبِ ما تضافُ إليهَا، وبحسبِ العلاقةِ، ومنهُ أهلُ الكتابِ، وهم المنتمونَ إلى الكتابِ المؤمنونَ بهِ[9].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ودد).
(2) الراغب، المفردات: (ودد).
(3) الزبيدي، تاج العروس: (ودد).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/136.
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة: (كثر).
(6) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (كثر).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أهل).
(8) الراغب، المفردات: (أهل).
(9) المعجم الاشتقاقي المؤصل: (أهل).

4) ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: اسمٌ على وزنِ (فِعَال) أحدُ أوزانِ المصادرِ، جذرُه الكافُ والتاءُ والباءُ، والأصلُ في ذلكَ ضمُّ الشيءِ إلى الشيءِ[1].

ويطلقُ الكتابُ على الخطِّ والكتابةِ، كما قالَ اللّٰهُ تعالى عن عيسَى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [المائدة: 110]، وقدْ يقالُ الكتابُ ويرادُ به المكتوبُ، من إطلاقِ المصدرِ وإرادةِ اسمِ المفعولِ، مثلُ الفِراشِ، ويرادُ به المفروشُ، والفِراشُ ويرادُ به المفروشُ، فالكتابُ هو الصحيفةُ التي كُتبَ فيها[2]، أمّا المقصودُ من الكتابِ في الآيةِ؛ فحيثُما "ذكرَ اللّٰهُ تعالَى أهلَ الكتابِ فإنّمَا أرادَ بالكتابِ التّوراةَ والإنجيلَ، أو إيّاهُما جميعًا"[3].

ويأتي ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في القرآنِ الكريمِ على أحدَ عشرَ وجهاً[4]، والمرادُ به هُنا التوراةُ والإنجيلُ.

5) ﴿يَرُدُّونَكُمۡ﴾: فعلٌ مضارعٌ من الأفعالِ الخمسةِ (يردّونَ)، ماضيه المجردُ (ردّ) مضعفُ الثلاثيّ، وجذرُه اللغويّ (ردد)، والأصلُ في معناهُ دلالتُه على "رجعِ الشَّيءِ، تقولُ رَدَدْتُ الشَّيءَ أَرُدُّهُ ردًّا، وسمّيَ المرتدُّ؛ لأَنَّهُ ردَّ نفسهُ إلى كفرِه"[5]، و"الرَّدُّ صرفُ الشيءِ بذاتِه، أو بحالةٍ من أحوالِه، يقالُ: رَدَدْتُهُ فَارْتَدَّ"[6].

ومعنَى اللفظةِ في الآيةِ "أيْ يُرْجعونَكم ويصيّرونَكم إلى حَالَةِ الكُفرِ بَعْدَ أنْ فارقْتموهُ، والارْتدادُ والرِّدَّةُ: الرُّجوعُ في الطريقِ الذي كانَ فيهِ، إلَّا أنَّ الرِّدَّةَ اخْتصَّتْ بالكفْرِ"[7].

والفعلُ ﴿يَرُدُّونَكُمۡ﴾ في الآيةِ يشيرُ إلى "أنّ ودادتَهمْ أنْ يرجعَ المسلمونَ إلى الشِّركِ؛ لأنَّ الرّدَّ إنَّما يكونُ إلى أمرٍ سابقٍ"[8] والمعنَى عودةٌ للحالةِ التي كانُوا عليهَا.

6) ﴿كُفَّارًا﴾: جمعُ تكسيرٍ زنةُ (فعّال)، مفردُه كافرٌ، وهو مشتقٌ من الكفرِ، وجذرُه اللغويّ (كفر) ولهُ أصلٌ واحدٌ "يدلّ على معنًى واحدٍ، وهو السترُ والتغطيةُ، يُقالُ لمنْ غطّى درعَهُ بثوبٍ: قدْ كفرَ درعَهُ"[9] ومعناهُ "ووصفُ اللّيلِ بالكافرِ

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة: (كتب).
(2) الهوريني، المَطَالِعُ النَّصرية: ص: 41.
(3) الراغب، المفردات: (كتب).
(4) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر: ص: 526-527.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ردد).
(6) الراغب، المفردات: (ردد).
(7) السمين، عمدة الحفّاظ: (ردد).
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/670.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كفر).

لسترِه الأشخاصَ والزّرّاعِ لسترِه البذرَ في الأرضِ"[1] ومعنَى الكفرِ في الآيةِ "جُحُودُ الوحدانيّةِ أو الشّريعةِ أو النّبوّةِ"[2]؛ لأنَّ الكافرَ غطّى على الحقِّ والدِّينِ وسترَ عليهِ[3].

7) ﴿حَسَدًا﴾: مصدرُ حسدَ يحسُدُ، وجذرُهُ اللغويّ (حسد)[4]، وجاءَ في معناهُ المحوريّ أنّهُ "شعورٌ حادٌّ يحتبسُ في جوفِ الحاسدِ فيكرَهُ وُجُودَ النّعمةِ عندَ المحسودِ إنْ كانتْ موجودةً، وصيروتَها إليهِ إنْ لم تكنْ"[5].

ومعنى الحسدِ "أنْ تتمنَّى زوالَ نعمةِ المحسودِ إليكَ"[6]، وهذا المعنَى هو المرادُ في الآيةِ، وزادَ الراغبُ في معناهَا العامّ أنْ يسعَى الحاسدُ في إزالةِ تلكَ النّعمةِ[7] وذلكَ ليسَ بغريبٍ على اليهودِ والنصارَى.

8) ﴿أَنفُسِهِم﴾: جمعُ قلّةٍ على وزنِ (أَفْعُل) المفردُ منهُ (نَفَس) وأصلهُ من (نفس) وهو "يدلُّ على خروجِ النَّسيمِ كيفَ كانَ، منْ ريحٍ أَوْ غيرهَا ... والنّفسُ الدَّمُ، ...، وذلكَ أَنَّهُ إذا فُقدَ الدَّمُ منْ بدنِ الإنسانِ فُقدَ نفسُهُ"[8].

وهو شيءٌ "لطيفٌ يسري في فُتُوقِ أثناءِ الشيءِ فيصلحُه ويتيحُ لهُ التصرفَ، كالنّفَسِ في أثناءِ بدنِ الحيِّ فهو علامةُ حياتِه التي تتيحُ لهُ التصرفَ"[9].

ومعنَى ذلكَ أنّ النَّفْسَ يعبّرُ بها عن الإنسانِ، وهو تعبيرٌ مجازيٌّ وَفقًا لمَا سبقَ، وهو هنَا كذلكَ في هذهِ الآيةِ؛ فالأنفسُ هم المخاطبونَ بهذهِ الآيةِ، وقدْ يكونُ معناهَا الرُّوحُ[10]، وهو صحيحٌ فكلّه يُستدَلُّ بهِ على الإنسانِ.

9) ﴿تَبَيَّنَ﴾: فعلٌ ماضٍ مزيدٌ وزنُه (تفعّلَ) منْ تبيّنَ يتبيّن تبيينًا، وجذرُه اللغويّ (بين)

(1) الرّاغب، المفردات: (كفر).
(2) الرّاغب، المفردات: (كفر).
(3) السمين، عمدة الحفّاظ: (كفر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسد).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (حسد).
(6) الجوهري، الصحاح: (حسد).
(7) الراغب، المفردات: (حسد).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نفس).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نفس).
(10) الجوهري، الصحاح: (نفس).

ومعناهُ التّوضيحُ، و(الباءُ والياءُ والنّونُ) لهُ أصلٌ في لُغةِ العربِ، بمعنَى البُعدِ والانكشافِ والظُّهورِ، "وبانَ الشَّيءُ وأَبانَ، إذا اتَّضحَ وانْكشفَ، وفُلانٌ أَبْيَنُ من فُلانٍ، أَي أَوضحُ كلامًا منْهُ"[1]، ومنهُ البَيِّنَة وهي "الدلالةُ الواضحةُ عقليةً كانتْ أو محسوسةً"[2]، "ويقالُ تبينتُ الحقَّ واستبنتهُ أي استوضحتهُ فاتّضحَ"[3] وتبيّنَ الحقُّ في الآيةِ؛ أيْ: توضّحَ وظهرَ.

10) ﴿ٱلْحَقُّ﴾ اسمٌ ثلاثيٌّ، جذرهُ اللغويّ (حقق)، وأصلُ معناهُ "يدلُّ على إحكامِ الشَّيءِ وصحَّتِه، فالحقُّ نقيضُ الباطلِ، ثمَّ يرجعُ كلّ فرعٍ إليهِ بجودةِ الاستخراجِ وحسنِ التّلفيقِ، ويقالُ حقَّ الشَّيءُ: وَجَبَ"[4].

و"الحقُّ في الأصلِ: الثّبوتُ، والشّيءُ الثابتُ، يقالُ: حقَّ الأمرُ يحقُّ حقًّا، فهو حقّ: أيْ ثبتَ واستقرَّ"[5] والحقُّ في الآيةِ: الدِّينُ، وما أنزلَ اللّهُ لعبادِه عن طريقِ أنبيائِه ورسلِه.

ويفسّرُ أيضًا "بالصَّحيحِ الصَّوابِ؛ أيْ: ضدّ الباطلِ الزائفِ"[6] إذا جاءَ في سياقاتِ الدِّينِ وإنزالِ القرآنِ.

11) ﴿فَٱعْفُواْ﴾: فعلُ أمرٍ مضارعُه (يعفُو) مصدرُه (العفو)، وهو جذرُه اللغويّ أيضًا، والعينُ والفاءُ والحرفُ المعتلُّ لهُ أصلٌ يدلّ على تركِ الشَّيءِ، فـ"عفوُ اللّهِ تعالى عنْ خلقِه، وذلكَ تركُه إيّاهُم فلا يعاقبُهمْ، فضلًا منهُ"[7].

و"العَفوُ عن الذنوبِ: عَدَمُ المؤاخذةِ عليها، وكأنّ مَن عفَا غطّاهَا، أو أعرضَ عنهَا فلمْ ينظرُ إليهَا"[8]؛ لأنّ الأصلَ في العفوِ التَّغطيةُ، والعفوُ الواردُ في الآيةِ هو التجاوزُ عمّا ارتكبَه الإنسانُ من ذنبٍ[9].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بين).
(2) الراغب، المفردات: (بين).
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (بين).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حقق).
(5) السمين، عمدة الحفّاظ: (حقق).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (حقق).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عفو).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عفو).
(9) السمين، عمدة الحفّاظ: (عفو).

12) ﴿وَٱصۡفَحُواْ﴾: فعلُ أمرٍ موجّهٌ لجماعةِ الحضورِ، جذرُه اللغويّ من (صفح) والاسمُ منهُ الصَّفْحُ، وأصلُ معناهُ العَرْضُ وهو صفحُ الشيءِ[1].

وهو أيضًا "الجَنْبُ من كلِّ شيءٍ، وصَفْحا السَيْفِ وَجْهاهُ"[2] "وأصلُ الصَّفحِ أنْ تنحرفَ عن الشيءِ فتوليهِ صفحةَ وَجهِك، أيْ: نَاحيَة وجهِك"[3].

وهذا هوَ المرادُ في الآيةِ؛ فإنّهُ عطف هذا الفعل على فعلِ العفوِ، وهو تركُ العقوبةِ، أمّا الصَّفحُ فمعناهُ أعرضُوا عن المذنبِ بصفحةِ الوجهِ كأنّهُ قدْ وَلّاهُ صفحتَه، وصُفْحُه -بالضمِّ - أيْ: عرضُه وجانبُه"[4].

13) ﴿بِأَمۡرِهِۦٓ﴾: اسمٌ ثلاثيٌّ مجردٌ، جذرهُ اللغويّ من (أمر)، أمرَ يأمرُ أمرًا، ولهُ عدّةُ معانٍ، منها "الواحدُ منَ الأُمورِ فقولُهمْ: هذا أَمرٌ رضيتهُ، و: أَمرٌ لا أَرضاهُ، وفي المَثلِ: أَمرٌ ما أَتَى بكَ"[5] وكذلكَ فإنّ "الأَمْرَ نقيضُ النَّهي"[6].

و"الأَمْرُ: الشأنُ، وجمعُه أُمُورٌ، ومصدرُ أَمَرْتُهُ: إذَا كلّفتَه أنْ يفعلَ شيئًا، وهو لفظٌ عامٌّ للأفعالِ والأقوالِ كلِّها"[7]، وفي الآيةِ: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾، "أيْ: حتّى يجيءَ ما فيهِ شفاءُ غليلكُم"[8] من إجلاءٍ أو قتلٍ أو جزيةٍ.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تعرضُ الآيةُ للعلَّةِ الحقيقيّةِ التي تحرِّكُ أهلَ الكتابِ في زرعِ الفتنِ والشِّقاقِ بينَ المؤمنينَ، بمَا تُثيرُه من شبهاتٍ فكريّةٍ، ومطاعنَ فاسدةٍ، وهو الحسدُ المتمكِّنُ من نفوسِهم، الجاثمُ فوقَ قلوبِهم، لـمَا نالَه المؤمنونُ من الإيمانِ، الذي يُؤهِّلُهم لاكتسابِ الصَّدارةِ بينَ الأمم، في كونِهم أصحابَ الشريعةِ الحقَّةِ، والقبولِ الثَّابتِ، وتضعُ الآيةُ أركانَ المعالجةِ بالعفوِ والصَّفحِ، وتركَ الأمرِ للّهِ وحدَه، فهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، بمعاقبةِ مَن يُعادي دينَه، ويقتحمُ أسوارَ غيرِه.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صفح).
(2) الخليل، العين: (صفح).
(3) السجستاني، نزهة القلوب، ص: 111.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صفح).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمر).
(6) الخليل، العين: (أمر).
(7) الراغب، المفردات: (أمر).
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/671.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

فائدةُ التعبيرِ بـ ﴿كَثِيرٌ﴾:

استنباطُ القيمِ الهدائيَّةِ، وبيانُ عدالةِ القرآنِ المطلقةِ في التَّعاملِ مع الآخرِ

عبَّرتِ الآيةُ بـ﴿كَثِيرٌ﴾؛ لبيانِ أنَّ الوَدَّ صدرَ عن كثيرٍ من أهلِ الكتابِ لا عن جميعِهم ولا عن أكثرِهم، ومعنَى ﴿كَثِيرٌ﴾ أنَّهم ليسُوا بالعددِ القليلِ، بلْ هم كثيرٌ، وفي الوقتِ نفسِه ليسُوا الأكثرَ، وهذا يُترجمُ دقَّةَ القرآنِ في بيانِه لواقعِ النَّاسِ، وهذا من العدالةِ المطلقةِ في التَّعاملِ مع الآخرِ قلَّ نظيرُها في المذاهبِ والملِ والأديانِ؛ فودادُ كفرِ المؤمنينَ ليسَ عندَ جميعِ اليهودِ بلْ في كثيرٍ منهُم، وهيَ إشارةٌ قرآنيَّة إلى أنَّ بعضَ اليهودِ ممَّا "يُرجَى إيمانُه، ويسيرُ في طريقِ الإيمانِ"[1]، فهي قيمةٌ هدائيَّةٌ مستنبطةٌ من صيغةٍ لغويَّةٍ.

معنى التَّعريفِ في الكتابِ:

الألفُ واللامُ في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ عهديّةٌ، والقصدُ من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراةُ والإنجيلُ، وعلى ذلكَ فأهلُ الكتابِ هنَا هم اليهودُ والنصارَى، والمعنَى أنّ كثيرًا من اليهودِ وغيرِهم يتمنّونَ كذا وكذا، ومن رجَّح أنَّهم اليهودُ؛ فالمقصودُ بالكتابِ هنَا التوراةُ[2]، والصَّحيحُ أنَّ الكتابَ عامٌّ في الكتبِ السَّابقةِ، وهذا السُّلوكُ وإنْ كانَ في اليهودِ أوضحَ، إلّا أنَّ النَّصارَى لا براءةَ لهم منهُ.

سِرُّ التَّعبيرِ بكلمة ﴿يَرُدُّونَكُم﴾:

الكشفُ عن بواطنِ النُّفوسِ، توطئةً لبيانِ الحسدِ

آثرتِ الآيةُ الكريمةُ استعمالَ مفردةِ الردِّ؛ للإشارةِ إلى أنّ رغبةَ أهلِ الكتابِ أنْ يحصلَ للمؤمنينَ رجعةٌ بعدَ تقدّمٍ، وانتكاسةٌ بعدَ استقامةٍ[3]؛ ففيهِ توبيخٌ وتقريعٌ لمنْ يطاوعُ أهلَ الكتابِ، وهو أشدُّ من التعبيرِ بـ(كفرتُم) لأنّه لوْ "قيلَ لوْ كفرتمْ لكانَ فيهِ بعضُ العذرِ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/360.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/196.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/360.

لأهلِ الكتابِ؛ لاحتمالِه أنّهمْ يودّونَ مصيرَ المسلمينَ إلى اليهوديّةِ"[1] فأهلُ الكتابِ يودُّونَ عودةَ المؤمنينَ إلى الوثنيَّةِ، والوثنيَّةُ عندَهم شرٌّ محضٌ، فالتَّعبيرُ بالودِّ توطئةٌ لبيانِ الحسدِ.

بلاغةُ اختيارِ الصِّيَغِ:

أثـرُ اختـيـارِ الصّيغةِ في بيانِ معاني السياقِ

لفظةُ ﴿كُفَّارًا﴾ على وزنِ (فُعّال)، من صيغِ جموعِ التكسيرِ الدالّ على الكثرةِ، واختيارُ هذه الصِّيغةِ لبيانِ قصدِ أهلِ الكتابِ في أنّهم يتمنّونَ "أنْ يصرفوكُم عن توحيدِ اللّهِ، والإيمانِ بمحمّدٍ ﷺ، ويرجعوكُم كُفّارًا كمَا كنتُم، حسدًا لكُم"[2]، ويتمنّونَ ردّكُم جميعًا إلى ما كنتُم عليهِ من الضلالِ؛ بدلالةِ إضافةِ المفعولِ الأولِ الكافِ إلى ميمِ الجمعِ، وبدلالةِ مجيءِ المفعولِ الثاني على صيغةِ جمعِ التكسيرِ الدالِّ على جمعِ الكثرةِ؛ لأنَّ التعبيرَ بجمعِ الكثرةِ مناسبٌ لتمنّيهم ردَّ جميعِ المؤمنينَ ﴿كُفَّارًا﴾.

بلاغةُ مجيءِ حرفِ ابتداءِ الغايةِ:

تصويرُ نوعيَّةِ الحسدِ وعمقِه في نفوسِ أهلِ الكتابِ

دلَّ حرفُ ﴿مِّنۢ﴾ على ابتداءِ الغايةِ في قولِه تعالَى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ﴾، ولوْ قيلَ "يردونَكم بعدَ إيمانِكم"؛ لصحَّ في البيانِ، لكنَّها لا تؤدِّي المعنَى الذي يُريدُ تصويرَه النَّظمُ الجليلُ، فإنَّ نفوسَ أهلِ الكتابِ تودُّ أنْ يرجعَ المؤمنونَ كفارًا إلى ساعةِ الصفرِ، أي: أنْ يرجعُوا كفَّارًا كمَا كانُوا، بحيثُ لا يبقَى معهُم أيُّ مزيَّةٍ اكتسبُوها في الإسلامِ، وهو يصوِّرُ حجمَ الحسدِ، وعُمقَه في نفوسِ أهلِ الكتابِ؛ لعلمِهم بأنَّ حياةَ العربِ في دائرةِ الإسلامِ قدْ نقلتْهم نقلةً نوعيَّةً تفوَّقوا بها عليهِم، فالعربُ قبلَ الإسلامِ ليسُوا هم قبلَه، وأهلُ الكتابِ يريدونَ عودةَ العربِ إلى كفرِهم ليرجعوا إلى ما كانوا عليه من الضَّعفِ والهوانِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/670.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 1/190.

الاحتمالُ الدّلاليّ بينَ معاني الأدواتِ:

تحتملُ أداةُ ﴿لَوْ﴾ في قولِه تعالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾، الشَّرطيةَ والمصدريَّةَ.

أمَّا الشَّرطيَّةُ فهي تستلزمُ جوابًا، وقدْ قدَّرَ المفسِّرونَ "جوابَها محذوفاً تقديرُه: لو يَرُدُّونَكم كفاراً لَسُرُّوا، أو فرحُوا بذلكَ"[1].

وأمَّا المصدريّةُ فهيَ تتمحّضُ في ودادِ أهلِ الكتابِ ردَّ المؤمنينَ عن دينِهم، فودُّهم متمحِّضٌ لارتدادِ المؤمنينَ؛ فكأنَّهم لا يودُّونَ شيئًا سواهُ، بخلافِ الشّرطيَّةِ، ففيهَا تكرارٌ ضمنيٌّ، كأنّه قيلَ: ودَّ أهلُ الكتابِ لوْ تُردُّون ليفرحُوا، أي: ودّوا ليودّوا، فإنَّ الودَّ من معانيهِ الفرحُ والمسرّةُ، فمعنَى المصدريةِ أعرقُ في ميزانِ البلاغةِ والفصاحةِ، وهو ما يوافقُ بلاغةَ القرآنِ.

الـرَّاجـحُ في معاني الأدواتِ ما كـانَ موافقًا لـروحِ البلاغةِ، ومُـصـوِّرًا دقَّـةَ المعنى

الإعرابُ فرعُ المعنَى:

اختلفَ المفسِّرونَ في بيانِ دقَّةِ معنَى الحسدِ في قولِه تعالَى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾، وبناءً عليهِ اختلفَ المُعْربونَ في إعرابِ ﴿حَسَدًا﴾ على عدَّةِ أوجهٍ إعرابيَّةٍ؛ كالآتي:

1- أنْ تكونَ مفعولًا لأجلِه، والعاملُ فيهِ ﴿وَدَّ﴾ أوْ ﴿يَرُدُّونَكُم﴾[2]؛ فالحسدُ علّةُ رغبةِ أهلِ الكتابِ الذينَ يودّونَ أنْ تعودُوا للإشراكِ والكفرِ بعدَ أنْ اهتديتُم، والمقصدُ "أنّهُ تعالَى بيَّنَ أنَّ حبَّهمْ لأنْ يرجعُوا عنِ الإيمانِ، إنَّما كانَ لأجلِ الحسدِ"[3].

2- أنْ تكونَ مصدرًا منصوبًا[4]، أي: مفعولاً مطلقًا، وهو على هذا التخريجِ يكونُ نائبًا عن المفعولِ المطلقِ، عند مَن يشترطُ

قـوَّةُ المعـنَـى البلاغيّ معيارُ الـترجـيـحِ بـينَ الأقوالِ النحويّةِ

(1) السمين، الدرّ المصون: 2/66.
(2) العُكبري، التبيان: 1/104.
(3) الرازيّ، مفاتيح الغيب: 3/264.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 1/558.

أنْ يكونَ المفعولُ المطلقُ مصدرًا للفعلِ العاملِ فيهِ، وقدْ جعلَ بعضُ المفسرينَ العاملَ فيهِ محذوفًا على تقديرِ "يحسدونَكم حسدًا"[1].

3- أنْ تكونَ حالاً، على تقديرِ: حاسدينَ[2]، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّ القياسَ في الحالِ ألّا يكونَ مصدرًا؛ لدلالةِ المصدرِ على الثَّباتِ، بخلافِ الحالِ الدّالّةِ على الهيئةِ المنتقلةِ غيرِ الثابتةِ، وهذا الإعرابُ يعنِي أنّ الحسدَ غيرُ متأصلٍ في اليهودَ، وهذا خلافُ الواقعِ، وخلافُ ما أشارتْ إليهِ الآيةُ في سياقِها ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أيْ: أنّه متأصّلٌ في أنفسِهم.

وإعرابُ ﴿حَسَدًا﴾ مفعولاً لأجلِه أقوَى دلالةً وسياقًا، فودُّ أهلِ الكتابِ لوْ يردّونَ المؤمنينَ عن دينِهم هوَ لأجلِ الحسدِ المتأصّلِ في نفوسِهم، وهذا لا يظهرُ في الإعرابينِ الآخرينِ، معَ جوازِهما صناعةً.

سِرُّ التَّعبيرِ بالحسدِ دونَ مرادفاتِه:

الإيجازُ في بيانِ المعـانِي بلفظٍ واحدٍ جامعٍ

جاءَ التَّعبيرُ بمفردةِ الحسدِ، دونَ الكراهيةِ أو البغضاءِ أو الغلِّ؛ لبيانِ خلّةٍ نفسيَّةٍ قبيحةٍ طالَما حذَّرَ منهَا القرآنُ؛ وذلكَ أنّ الحسدَ هوَ اللفظُ الجامعُ لهذهِ المعانِي، فإنّ الكارهَ المُبغضَ يؤدِي بهِ كرهُه وبغضُه إلى حسدِ المكروهِ؛ فالحسدُ لفظٌ جامعٌ لجميعِ هذهِ المعانِي، فلمَّا ذكرَ الحسدَ تضمّنَ هذه المعانِي، وهي من دلالةِ اللزومِ، وهو من إيجازِ اللفظِ وتكثيرِ المعنَى.

تصويرُ نفوسِهم بأنَّـها كـالآبـارِ الـعـمـيـقـةِ المليئةِ بالحسدِ والكراهيةِ

التعبيرُ بـ﴿مِن﴾ لابتداءِ الغايةِ:

معنَى ﴿مِن﴾ في قولِه تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ لابتداءِ الغايةِ، وجيءَ بهَا "للإشارةِ إلى تأصّلِ هذا الحسدِ فيهِم، وصدورِه عنْ نفوسِهمْ"[3] فالحرفُ جاءَ ليصوِّرَ نفوسَهم بأنَّها كالآبارِ العميقةِ

(1) الواحديّ، الوسيط: 1/191، والبغويّ، تفسير البغويّ: 1/136، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/558.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 1/558.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/670.

المليئةِ بالحسدِ والكراهيةِ؛ فكأنَّه قالَ: الحسدُ مُستخرَجٌ ابتداءً من عندِ أنفسِهم.

فائدةُ إضافةِ ﴿عِندِ﴾ إلى النفوسِ:

حـصـرُ أصـلِ الـحـسـدِ في نـفـوسِ أهـلِ الـكـتـابِ، احتراسًا أن يُظنَّ بشرائعِ الرُّسلِ السوءُ

الظرفُ ﴿عِندِ﴾ مضافٌ إلى ﴿أَنفُسِهِم﴾، وهم أهلُ الكتابِ، وفي هذا التعبيرِ تشنيعٌ عليهم، وذمٌّ لهم، والمعنَى "أنّهم ودّوا ذلكَ للمؤمنينَ، من عندِ أنفسِهم، إعلامًا منه لهم بأنّهم لمْ يؤمرُوا بذلكَ في كتابِهم"[1] ومعنَى ذلكَ أنّهم يفترونَه افتراءً "متبالغًا منبعثًا من أصلِ أنفسِهم"[2]؛ لذلكَ عبّرَ عنهُ بالعنديَّةِ الدّالّةِ على الاستقرارِ والتمكّنِ منهم؛ لأنَّ الحسدَ يبدأُ من بابِها المعبَّرِ عنه بعندَ، فهو ظرفٌ يبينُ هذهِ النفوسَ، وأنّ لها شأنًا في اكتنازِ الحسدِ، وأنَّهُ صادرٌ عن نفوسِهم المريضةِ، لا عن شريعتِهم وكتابِهم، احتراسًا أنْ يُظنَّ بشرائعِ دينِ اللّهِ التي أنزلهَا على رسلِه سوى ذلكَ.

أثرُ السِّياقِ في بيانِ المتعلّقاتِ:

تـعـلُّـقُ الـجـارِّ والمجرورِ بالودادِ أو الـحـسـدِ لـلـتَّـجـانسِ في الأصلِ النَّفسيِّ

يجوزُ تعلُّقُ الجارِّ والمجرورِ ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ بالودِّ أو الحسدِ؛ لأنّهما حالتانِ نفسيّتانِ مجانستانِ لقولِه: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾، ولمّا كانتِ الحالتانِ الأوْلَيانِ نفسيَّتينِ؛ فإنّ ذكرَه ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ ما هوَ إلاّ توكيدٌ لتلكَ الحالتينِ، "إذِ الحسدُ لا يكونُ إلَّا من قِبلِ النَّفسِ"[3]، وهو نوعٌ من التوكيدِ الأسلوبيّ، بأن يؤكّدَ مضمونَ ما قبلَه.

فائدةُ دخولِ حرفِ الابتداءِ على الظَّرفِ:

أثـرُ الـنـظـمِ في الـكـشـفِ عـن سـرعـةِ تـمـنّـي أهلِ الكتابِ ردَّةَ المؤمنينَ

أفادَ دخولُ حرفِ ﴿مِن﴾ على الظرفِ ﴿بَعْدِ﴾ في قولِه تعالَى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ السُّرعةَ وتقاصرَ الزمنِ في الفعلِ المرادِ المتعلّقِ لأدنَى مدَّةٍ وهو ﴿وَدَّ﴾ أو ﴿يَرُدُّونَكُم﴾، أي: بمجرَّدِ تبيُّنِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 2/501.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 1/310.
(3) زكريا الأنصاريّ، فتح الرحمن: ص: 37.

الحقّ، ولو قالَ: "بعدَ ما تبيّنَ"؛ لـمَا أفادَ ذلكَ؛ فإنّ المعنَى أنّ فعلَهم واقعٌ بقطعِ النَّظرِ بعدَ مدّةٍ متمادّةٍ من الزمنِ قدْ تطولُ وقدْ تقصرُ، أي: أنّ فعلَهم في تمنّي ما يريدونَ، أو ردّهم المؤمنينَ إلى الشركِ قدْ يحصلُ بعدَ مدّةٍ طويلةٍ أو قصيرةٍ، أمّا قولُه: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ﴾ فإنّ تمنّيهم وقعَ مباشرَةً بعدَ ظهورِ الحقِّ لهم؛ "فهُم يتمنّونَ الإسراعَ في تكفيرِهم، وأنْ ينقلوهُم من حالةِ الإيمانِ إلى حالةِ الكفرِ فورًا"[1]، أي: أنّهم أسرعُوا في فعلِهم ذاكَ فورَ تبيينِ الحقّ، وهذا ما تمنحُه ﴿مِن﴾ التي تفيدُ الابتداءَ والبَعديَّةَ، بَعديَّةً زمانيَّةً؛ لأنّ ﴿بَعۡدِ﴾ صالحةٌ للزمانِ والمكانِ، والسِّياقُ يقضِي بأنْ تكونَ زمانيَّةً.

بلاغةُ التّقديمِ والتّأخيرِ:

وظيفةُ القصرِ الادّعائِي المبالغةُ في التّشنيعِ على الحاسدينَ

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ على المسندِ إليهِ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾؛ للاهتمامِ والاختصاصِ، فكأنّهُ يريدُ القولَ (من بعدِ ما تبيّنَ لهم الحقّ وحدَهم)، جعلَ تبيينَ الحقِّ لهم وحدَهم دونَ سواهُم، وهو من بابِ القصرِ الادّعائِي للمبالغةِ في التّشنيعِ على أهلِ الكتابِ الحاسدينَ للمؤمنينَ؛ لأنّ تبيينَ الحقِّ يستحيلُ أنْ يكونَ لهم وحدَهم دونَ سواهُم؛ فالمبالغةُ في القصرِ جاءتْ اهتمامًا لهذَا الأمرِ، وأنّ الحقّ قدْ بانَ لهم على أوضحِ صورةٍ وأجلاهَا، ولذلكَ جعلَ العلماءُ الكلامَ تامًّا هنَا، وأنّ الوقفَ عليهِ من قبيلِ الوقفِ الحسنِ[2].

معنى الألفِ واللامِ في كلمةِ الحقّ:

تنوُّعُ المعاني مقبولٌ بضابطِ النَّظمِ والسِّياقِ

معنى الألفِ واللامِ في كلمةِ الحقِّ في قولِه تعالَى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾، إمَّا أنْ تكونَ "للعهدِ، ويرادُ بهِ الإيمانُ، ويدلُّ عليهِ جريانهُ قبلَ هذا"[3] وهو الإيمانُ الذِي يعرفونَه، وقدْ تكونُ

(1) فاضل السامرائّي، معاني النحو: 2/198.
(2) الأنباريّ، إيضاح الوقف والابتداء: 1/528.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/559.

"للاستغراقِ، أَيْ: منْ بعدِ ما اتّضحتْ لهمْ وجوهُ الحقِّ وأَنواعهُ"[1]، والمعنيانِ مرادانِ ومقصودانِ وغيرُ ناشزينِ عن سياقِ الآيةِ ونظمِها.

بلاغةُ الفاءِ الفصيحةِ:

الفاءُ في قولِه تعالَى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ هيَ الفصيحةُ، وهي التِي تُفصحُ عن محذوفٍ يقدِّرُه المخاطَبُ من السِّياقِ، وجمهورُ البيانيينَ يشترطونَ تضمينَ المقدَّرِ شرطًا، وهو ليسَ بلازمٍ، أيْ: إنْ جهلتُم ما يجبُ أنْ تقومُوا بهِ تجاهَ أولئكَ؛ فاعفُوا واصفحُوا "أيْ: أعرضُوا عمّا يكونُ منهم من الجهلِ والعداوةِ فلا تجازوهُم"[2]، ويظهرُ أثرُ بلاغةِ الفاءِ الفصيحةِ في تسليطِ الضَّوْءِ على الواجبِ فعلُه مع الحاسدينَ من أهلِ الكتابِ، وهو العفوُ والصَّفحُ؛ لأنَّهُ المقصودُ الحقيقيّ في السِّياقِ.

تسليطُ الضَّوْءِ على منهجِ التَّعاملِ مع الآخرِ

سرُّ التَّعبيرِ بالعفوِ والصَّفحِ:

عبّرتِ الآيةُ بالعفوِ والصفحِ، ولمْ تأتِ على ذكرِ الصَّبرِ، أو التَّصدّي، أو غيرِهما من المعاني؛ لأنَّ المقصودَ هو إماتةُ حسدِهم، وقتلُ كراهيتِهم، وحبسُ غيظِهم في أنفسِهم، ولا يؤدِّي هذهِ المعانيَ إلّا العفوُ والصَّفحُ، وما يولِّدُه منهجُ العفوِ والصَّفحِ من قوَّةٍ فكريَّةٍ، وثباتٍ عَقَديّ، وهو ما يورِّثُ في النَّفسِ المسلمةِ من القوَّةِ والمُكنةِ، ما لا يورِّثُه النِّزاعُ والجدالُ.

توريثُ القوَّةِ النَّفسيَّةِ، والمَنَعةِ العقديَّةِ

بلاغةُ عطفِ الأفعالِ المتقاربةِ الدّلالةِ بعضِها على بعضٍ:

عُطفَ فعلُ ﴿وَٱصۡفَحُواْ﴾ على فعلِ ﴿فَٱعۡفُواْ﴾ في قولِه: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾؛ لتحقيقِ فائدةٍ بيانيّةٍ بديعةٍ، وهي أنَّ العفوَ درجةٌ من التَّسامحِ عاليةٌ، وهي تدلُّ على تركِ عقابِ المذنبِ، أمَّا الصَّفحُ فهو تركُ عقابِ المذنبِ جملةً، أي: أعرضُوا عن المذنبِ بصفحةِ الوجهِ

الجمعُ بينَ العفوِ المادّي، والصَّفحِ المعنويّ؛ لتحقيقِ التوازنِ بينَ الدّلالتينِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/559.
(2) القاسميّ، محاسن التأويل: 2/223.

في "عدمِ لومهِ وتثريبهِ عليهِ، وهو أبلغُ منَ العفوِ"[1] والمعنَى يكونُ شاملاً لتركِ العقابِ واللومِ جميعًا[2]، فجاءَ بفعلينِ متقارِبينِ في الدِّلالةِ؛ ليحقّقَ الشموليَّةَ في بناءِ أخلاقِ المسلمينَ في الجانبينِ الماديّ والمعنويّ؛ الماديّ في تركِ العقوبةِ، والمعنويّ النفسيّ في تركِ اللّومِ والتَّثريبِ عليهم، ثمّ إنّه أسندَ ذلكَ لواوِ الجماعةِ؛ إشارَةً إلى أنّهُ يجبُ أنْ يتحلّى بهذَا الخلقِ المسلمونَ جميعًا كأنّهم جسدٌ واحدٌ، وأنّكم كثيرٌ فـ"لا يغرّنّكمْ أيّها المؤمنونَ كثرةُ أهلِ الكتابِ معَ باطلِهمْ، فإنّكمْ على قلَّتِكمْ أقوَى منهمْ بما أنتمْ عليهِ منَ الحقِّ"[3].

بلاغةُ تقديمِ العفوِ على الصَّفحِ:

العفوُ مقدِّمةُ الصَّفحِ ولا يُتصوَّرُ بدونِه، فهو من قبيلِ تقديمِ الأسبابِ على نتائجِها

قُدِّمَ العفوُ على الصَّفحِ؛ لأنّ العفوَ أهمّ من الصفحِ؛ فللعفوِ أثرٌ جسديٌّ ماديٌّ؛ لأنّهُ يتعلّقُ بالمظهرِ، بينَما نجدُ الصفحَ ذا أثرٍ نفسيّ، فالعفوُ سلامةٌ، والصَّفحُ غنيمةٌ، وطلبُ السلامةِ مقدّمٌ على طلبِ الغنيمةِ، ثمّ قدّمَه لسببٍ ثانٍ، وهو أنّ حصولَ العفوِ من المسلمينَ هو مقدِّمةٌ لحصولِ الصفحِ، فهو من قبيلِ تقديمِ السَّببِ على النَّتيجةِ؛ فتركُ العقوبةِ قدْ يكونُ سببًا لتركِ اللّومِ والمؤاخذةِ؛ "لذلكَ عطفَ الأمرَ بهِ على الأمرِ بالعفوِ؛ لأنَّ الأمرَ بالعفوِ لا يستلزمُهُ، ولمْ يستغنَ بـ(اصفحُوا) لقصدِ التّدريجِ في أمرهمْ"[4].

فائدةُ إضافةِ الأمرِ إلى ضميرِ اسمِ الجلالةِ:

التعريفُ في بيانِ المصدرِ والإبهامِ في بيانِ المتحقّقِ

اشتملَ لفظُ الأمرِ على نوعِ إبهامٍ مع إضافتِه إلى الضميرِ العائدِ على لفظِ الجلالةِ فهو "غايةٌ مبهمةٌ للعفوِ والصّفحِ؛ تطمينًا لخواطرِ المأمورينِ، حتَّى لا ييأسوا منْ ذهابِ أذى المجرمينَ لهمْ"[5]، وأنّ هذا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/671.
(2) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/347.
(3) المرجع السابق: 1/347.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/671.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/671.

الأمرَ آتٍ من اللهِ تعالَى؛ فتطمئنّ قلوبُهم بهِ، فاللفظُ لا يعيِّنُ حدثًا بعينِه، بلْ يحتملُ الإجلاءَ، ويحتملُ القتلَ، ويحتملُ العذابَ، ويحتملُ القصاصَ، ويحتملُ نزعَ "الحسدِ والحقدِ من قلوبِهم وهدايتِهم، وإمّا بالغلبِ عليهم، وأنْ يكونُوا في ظلِّ المسلمينَ، ويعلنُوا إسلامَهم، وقلوبُهم ليستْ مؤمنةً"[1] ويحتملُ غيرَ ذلكَ من المعاني المرسلةِ.

نكتةُ وضعِ الظَّاهرِ موضعَ المضمرِ:

جريانُ الجملةِ مجرى المَثَلِ السَّائرِ

عدلَ النَّظمُ الكريمُ عن إضمارِ لفظِ الجلالةِ إلى إظهارِه؛ لمَا في الجملةِ من استقلالٍ دلاليّ، فهي جملةٌ قائمةٌ بذاتِها، وهي -وإنْ كانتْ فاصلةَ آيةٍ- إلّا أنَّ لها استيلاءً على النَّفسِ والفطرةِ لا تتناهَى قوتُها، وقدْ جرتْ هذه الجملةُ في غالبِ القرآنِ على هذا المنوالِ فكانتْ كالمثلِ السَّائرِ، تعليمًا للعبادِ أنْ يقولُوا في كلِّ نائبةٍ وجائحةٍ، وكلِّ نصرٍ وظفرٍ: إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

اقترانُ حرفِ الاستعلاءِ بلفظِ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾:

الاستعلاءُ شاملٌ لكلِّ ما جاءَ به النَّقلُ، أو تصوَّرَه العقلُ

شملَ الاستعلاءُ الماديّاتِ والمعنويّاتِ، والمشاهداتِ والغيبيَّاتِ، وذلكَ باقترانِ حرفِ ﴿عَلَىٰ﴾ بلفظِ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ وإضافةِ لفظِ (كلّ) الذي هو من ألفاظِ العمومِ للفظِ (شيءٍ) المفيدِ للعمومِ كذلكَ؛ فأفادَ استعلاءً عامًّا عمومًا شموليًّا، واستقصاءً لكلِّ ما يتصوَّرُه الذِّهن، أو أخبرَ عن وجودِه الوحيُ؛ فهو عمومٌ يلفُّه عمومٌ، والجملةُ مستعليةٌ على كلِّ ادِّعاءٍ؛ لذلكَ كثُرَ ورودُها في القرآنِ الكريمِ بهذا النَّظمِ الكريمِ.

أثرُ السياقِ في اختيارِ الصِّيغِ:

مناسبةُ الصيغةِ لسياقِ الجملةِ وسياقِ الآيةِ

جاءتِ الآيةُ بصيغةِ (فَعِيل) دونَ (فاعِل) في بيانِ القدرةِ؛ ذلكَ أنّ هذه الصِّيغةَ تُفيدُ المبالغةَ[2] والكثرةَ والتَّكرارَ، بخلافِ اسمِ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/362.
(2) سيبويه، الكتاب: 1/110.

الفاعلِ الدَّالِّ على مجرَّدِ صدورِ الحدثِ عن فاعلٍ؛ ذلكَ أنَّ الجملةَ تقريرٌ لقدرةِ اللّٰهِ على كلِّ شيءٍ وهو ما يناسبُه صيغةُ المبالغةِ، وحديثُ السِّياقِ عن إتيانِ اللّٰهِ بأمرِه بعدَ عفوِ المؤمنينَ وصفحِهم عن أهلِ الكتابِ، وهو عفوٌ وصفحٌ يصاحبُه الصَّبرُ؛ فأن يكونَ الوعدُ بمثلِ هذهِ الصِّيغةِ أقوى في نفوسِ المخاطبينَ، وهو الأوفقُ بالفاصلةِ كذلكَ.

نكتةُ تَقديمِ الجارِّ والمجرورِ:

تأكيدُ اختصاصِ أمرٍ معلومٍ لتوليدِ الطّمأنينةِ القلبيَّةِ

أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ على ﴿قَدِيرٞ﴾ تأكيدَ الاختصاصِ، فإنَّه لا يقدرُ على كلِّ شيءٍ إلّا اللّٰهُ تعالَى، واختصاصُ اللّٰهِ تعالَى بهذهِ القدرةِ المطلقةِ أمرٌ مستقرٌّ في اعتقادِ المخاطَبينَ، فأفادَ التَّقديمُ تأكيدَ الاختصاصِ، لإدخالِ الطَّمأنينةَ على القلوبِ، وإقناعِ العقولِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»